نظرية الأفضية الذّهنيّة
Mental Spaces theory

الدكتورة: زهرة بوخاتمي
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
zahrazouzou18@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/05/23 تاريخ القبول: 2021/06/08 تاريخ النشر: 2021/09/19

ملخص:

انصرفت الدّراسات اللّسانياتية في العصر الحالي لمقاربة الذّهن وآليات اشتغاله، للتبلور على الرّكح اللّغوي للّسانيات العرفانية Cognitive linguisticsبما تحمله من شجون معرفي أو روحاني أو كليهما في نفوس بعض الباحثين، أو قد تُستدرَك بشيء من التّحسّر والرّفض لما يشوبها من غموض بدء بالمصطلح إلى مدلولاته المعرفية ومضامينه العلمية. كما تبنّت اللّسانيات العرفانية طروحات مفاهيمية مستحدثة في شكل نظريات وآليات تعمل على مقاربة البنى اللّغوية من منطلق علاقة اللّغة بالذّهن من قبيل جورج لايكوف G. Lakoff، راي جاكندوفR. Jakendoff، شارل فليمور Ch. Fillmoreوجيل فوكونييه G. Fauconier.....

إنّ نظرية الأفضية الذّهنية the mental spaces إحدى النّظريات المنبجسة عن الدّراسات العرفانية، للباحث جيل فوكونييه G. Fauconier، تمثّل منوالا تداوليا عرفانيا متطوّرا، والذّي من شأنه فكّ الإبهام عن العديد من المفاهيم التّداولية من خلال تطبيق المقاربة العرفانية.

الكلمات المفتاحية: اللّسانيات العرفاينة، نظريّة الأفضية الذّهنية، الوظيفة التّداولية، الوظيفة الإحالية، الفضاء الذّهني، العوالم الممكنة والعوالم الافتراضية

Abstract:

By now, Linguistic studies is focused on approaching the brain and its functioning mechanisms, though to evolve upon cognitive linguistics that withholds both cognitive and spiritual sides, or It may save what remains with some regret and rejection caused by the ambiguity starting from the term to its connotations and scientific content. Cognitive linguistics has also adopted

contemporary conceptual propositions in the form of theories and mechanisms that approach linguistic structures from the standpoint of the relationship of language to the brain, such as George Lykoff G. Lakoff, Ray Jakindoff. Jakendoff, Charles Flemore, Ch. Fillmore and G. Fauconier.. The theory of mental spaces is one of the cognitive linguistics theories set by the researcher Gilles Fauconier, it represents an advanced cognitive pragmatic method that manages to deliberate many pragmatics concepts through applying a cognitive approach. Then, what are the proposals of this theory? How can this theory be invested in understanding and interpreting the meaning of linguistic structures?
Key words: Cognitive linguistics, mental space theory, deliberative function, referral function, mental spaces

Keywords: Cognitive linguistics, mental spaces theory, deliberative function, referal function, mental space, real worlds and virtual worlds

1. مقدمة:

إنّ نظرية الأفضية الذّهنية من أحدث النّظريات في مجال الدّراسات العرفانية التّي تقوم على مباحثة العلاقة بين اللّغة والذّهن، فهي أحد المناويل الفاعلة في تفسير العلاقة القائمة بين الأبنية اللّغوية المنجزة من جهة، ومن جهة أخرى الدّلالات الناتجة عن مجموعة من الآليات الذّهنية والمؤوّلة في ظل المنتج الخطابي. إنّ تبلور هذه المعارف وتشاحن مصطلحاتها ناتج لا محالة عن سعي المهتمين الحثيث إلى مباغتة كيفيات إنتاج المعنى وتأويله ضمن السيرورات الكلامية.

لعلّ ورقتنا البحثية تصبو إلى فكّ اللّثام عن أهمّ التّقديمات النّظرية في حدود الدّراسات العرفانية تمييها واستقصاء لأهمّ المفاهيم الرئيسة التي تتبنّاها نظرية الأفضية الذّهنية كرافد تنظيريّ وتطبيقيّ، يعزو به الباحث إلى استقراء أهمّ التّأويلات الدّلالية من المنتج النّصي تباعا وانطلاقا من المرآة اللّغوية، التي تعكس زئبقيتها تعدّدا مفاهيميا.

فما مقترحات هذه النّظريّة؟ وما سبل استثمارها في سبيل فكّ شفرات الخطاب القصصي أي ما مدى مساهمتها في تأويل الأبنية اللّغوية؟

لعلّ الباحث المطلّع وهو يستجلي حدود التّراكم التّأويلي ينحو نحو فرضيات متعدّدة ترمي إلى التّوالد التّأويلي الدلالي ما بين الأفضية بشكل ترادفي أو تضمنّي، تسلسلا وتواجشا في التّناسق النّصي، أو قد يفرض كلّ نصّ لغوي إلى تأويلات دلالية خاصّة تكاد تنفك وتستقلّ عن بعضها البعض.

2. اللّسانيات العرفانية

غير بعيد عن التّراث الأدبي واللّغوي والبلاغي العربي، فقد عمد العلماء العرب إلى استدراك تحليلاتهم ودراساتهم بمجموعة من مؤشرات الدّراسات العرفانية كالإدراك، الانتباه، الذّكاء، التّذكّر والذّاكرة. وتعمّقوا في آليات التبصّر من محاولات رصد الأبنية اللّغوية واستراتيجيات التّركيب ناهيك عن عمليات التّصوير. فيما استحدثت الدّراسات اللّسانياتية الحديثة مثل هذه المعارف لتجتاح مسار الدّرس اللّغوي وتجذب ميول الدّارسين إلى محاولة اقتحامها والنهل من فيضها.فما معنى العرفان؟ وما هي اللّسانيات العرفانية؟

1.2 العرفان

يعرّفه ابن منظور لغة " عرف: العرفان: العلم ... عرفه، عرفة وعرفانا وعرفّانا ومعرفة واعترفه،.... ورجل عروف وعروفة: عارف يعرف الأمور، ولا ينكر أحدا رآه مرة... والعريف والعارف بمثل عليم وعالم... والجمع عرفاء..." [1]

اصطلاحا: تترجمcognitionبالمعرفة أو العرفان أو العرفانية، وهناك من ترجمها بالإدراك، العصبية ....، أمّا عن العرفانفيعرّفه الجابري بقوله: «يبدو أن العرفان نظام معرفيّ ومنهج في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم، وأيضاً موقف منه، انتقل إلى الثّقافة العربية الإسلاميّة من الثّقافات الّتي كانت سائدة قبل الإسلام في الشّرق الأدنى... يسمّى الغنوص gnose، والكلمة يونانية الأصل، ومعناها المعرفة. استعملت أيضاً بمعنى العلم والحكمة. غير أن ما يميّز العرفان هو أنّه من جهة معرفة بالأمور الدّينية تخصيصاً، وأنّه من جهة أخرى معرفة يعتبرها أصحابها أسمى من معرفة المؤمنين البسطاء وأرقى من معرفة علماء الدّين الّذين يعتمدون النّظر العقلي»[2].

استعمل مصطلح العرفان cognitionمنذ القدم، كما استُعمل في مجالي التّصوف والتعبّد وكذا الفلسفة، فيما نرى أن مصطلح المعرفة يقابله ,knowledge) (connaissance ، أمّا مصطلح الإدراك باعتباره ملازما لمصطلحي المعرفة والعرفان فيقابله (perception)، والعملية الّتي يصطلح عليها بالعرفنة إنّما هي نشاط الذّهن في عموم مظاهره، يشمل عمليات متعدّدة من قبل التّذكّر، التّعلم، التّعقل، حلّ المسائل، التّبرير،....وكلّ ما يتصّف بالنّشاط الذّهني الحسّي العصبيّ.

2.2 مفهوم اللّسانيات العرفانية

هي دراسات لغوية بينية تمخّضت عن تداخل جملة من العلوم على رأسها علم النّفس اللّغويّ Psycholinguistics الذّي اهتمّ في بداياته البحثية بقضايا اكتساب اللّغة، ولكن غيّر وجهته واهتمامه إلى دراسات أشمل تتعلّق بالذّهن: **" في العقود الأخيرة، ارتبط علم النّفس اللغّوي بشكل رئيسي بنظريات الاكتساب. اليوم، نظام جديد يسعى جاهدا إلى تحديد كلّ ما هو عقلي بحث في استخدامنا للّغة: اللسانيات العرفانية"**[3]فقد عمل على تفسير العديد من العمليات وفق ما يحدث داخل الدّماغ البشري، من قبيل الاسترجاع، التفكير، الانتباه، الذّكاء،....، فإلى جانب النحو التوليدي الأدنوي العامل على تفسير اللّغة كونها قدرة ذهنيّة فطرية معالجة في الدّماغ، جاءت اللّسانيات العرفانية لتعالج اللّغة من منظور ثقافي، جسدي وبيئي، فالمعارف اللّسانية في ضوء العرفانيات تصوريّة بامتياز.

تعمل العلوم العرفانية على اكتناه كيفية تمثّل المعارف اللّسانية في الذّهن، إنّ دراسة اللّغة في قالب العلوم الطّبيعية أمسى الاهتمام بها متزايدا، فهي " **جزء من مشروع عام وهو الوصف المفصّل لبنية الدماغ"**[4]، **ما فتح مجالا بينيا تتداخل وتتشابك فيه البحوث التّشريحية الطبيّة مع علم النّفس وعلم اللّغويات، وسمي بمسمّيات متعددة من قبيل علم اللّغة العصبي أو علم اللّغة الإدراكي، والذّي يعدّ مجالا أساسيا ضمن مباحث علم النّفس اللّغوي ، يتعلّق "بالوصف والنّمذجة، الطّريقة التّي نفكّر وندرك بها، وننشئ التّمثيلات"**[5]، إذ هندسة التّصوّرات المفاهيمية لعبة ذهنيّة تتمظهر في شكل

أبنية لغوية وتتسلّى بتشابك العمليات التّأويلية لتشفير ترميزاته، فالذّهنوية أحد المقوّمات الأساسية لنظريات الدّلالة التّصوّرية التّي أسّس لها جاكندوف، كما تعدّ البنية التّصورية التّي ترمز إلى كلمات أو جمل معيّنة نسقا تأليفيّا صوريّا مستقلاّ عن البنية التّركيبية، تتمثّل في كيانات معينة من قبيل أماكن ، أفراد، أحداث، خصائص ومقادير، ومتغيّرات، .....

لقد ركّز جاكندوف _ في دراسته على مجال الدّلالة العرفانية_ على التّمثيل الذّهني بدل البنية الذّهنية، إذ لم يورد هذه الأخيرة سوى أربع مرات في كتابه مقابل ست عشرة مرّة لمصطلح التّمثيل الذّهني[6] ، تقرّ الذّهنوية التّي جاء بها جاكندوف وكذا من قبله تشومسكي والتّوليديون أنّ المعنى عبارة عن بنية ذهنيّة في الدّماغ، أي أنّه تمثيل ذهنيّ يشفّر المعلومة المدخلة[7]عن طريق الإدراك الحسّي باعتبارها مقولة الإنسان للكون[8].

3. الفضاء الذّهني

1.3 مفهوم الفضاء

ينصرف معنى الفضاء لغة إلى الاتّساع ومعناه "السّاحة وما اتّسع من الأرض ... المكان الواسع وقول شمر هو ما استوى من الأرض واتّسع وقول أبي علي القالي الفضاء السّعة، ومنه المفضاة والمفضى: المتّسع"[9].

أمّا اصطلاحا، فقد راح المشتغلون في الدّراسات النّقدية والأدبية يستثمرون لغوية الفضاء في تأثيث اشتغالاتهم الفكرية، ليجتاح بذلك حيّزا عمليا في البحوث الأكاديمية، يقول سعيد يقطين مميّزا بين الفضاء والمكان "**إنّ الفضاء أعمّ من المكان لأنّه يشير إلى ما هو أبعد وأعمق من التّحديد الجغرافي**"[10]، الفضاء أكثر شمولا من مصطلح المكان، فإذا كان هذا الأخير يتحدّد بأبعاد ماديّة، فالفضاء كلّ مكان فاضي لا حدود تحدّه، ولا قيود تربطه، فهو "**الشّيء المبني المحتوي على عناصر متقطعة انطلاقا من الامتداد المتصوّر، هو على أنه بعد كامل ممتلئ**"[11]، لقد انصهر مفهوم الفضاء ليتخطّى معابر الأدبيات ويلج عالم الذّهنيات.

بات الفضاء كمصطلح علميّ ونقديّ مكمنا لتشابك دلالات البنى اللّغوية،إنّه:"**كلّ معقّد لا يمكن اختزاله إلى مجرّد وصف للأمكنة**"[12]، هكذا انفلت

الفضاء كمفهوم فلسفي عن الحيّز الذي حدّده واتّسع مجاله، فمن دراسة العلائق التي تقرنه بعناصر الخطاب السّردي كالشّخصيات، الزّمن، الحدث.... أمسى مناط دراسة أخرى قد تكون أشمل وأعمّ، بل وأكثر تجريدا تتعلّق فيما تتعلّق بهيكلة المعنى ضمن البنائيات اللّغوية،وجدليةً ذهنيّة تروم الوقوف على مداخل علم النّفس اللّغوي.

2.3 أفضية أم فضاءات؟

شاع استعمال مادّتين لغويتين للتّدليل على جمع كلمة الفضاء: الأفضية والفضاءات، أمّا أولاهما الواردة في العديد من التّعريفات المعجمية فهي جمع قلّة جمعت جمع تكسير، والوارد صرفيا أنّ جمع القلّة على وزن أفعلة، فأصل الكلمة الفضا من المادّة الثلاثية ف ض و ، جُمِع على أفضية على وزن أفعلة،إذ تمّ ردّ لام الكلمة إلى أصلها لتصبح أفضوة، ثمّ قلبت الواو ياء لتناسب الحركة السابقة لها.

أمّا ثانيتهما فقد جاءت على وزن الجمع المؤنث السالم، فالأصل في الفضاء الفضا، ففي جمع الكلمة المقصورة صرفيا ترد إلى أصلها واوا أو ياء أثناء الجمع من قبيل عصا عصوات، وبالتّالي ترجع كلمة الفضا إلى فضو وتجمع على فضوات، ثم تبدل حرف الواو بالهمزة تخفيفا للنّطق، أمّا ألف المدّ الواردة بعد الضاد لا تعليل لها، فهي زائدة، وعليه فكلمة الأفضية الأنسب للاستعمال لوجود تعليل صرفي رغم أن صيغة الفضاءات تستعمل بكثرة.

3.3 الفضاء واللّسانيات

يرتبط الذّهن في مجال اللّسانيات العرفانية بالذّهن، فهو غير محسوس كما الحال في العلوم الفيزيائية، مناطه استجلاء ماهية البناء المعرفي وكيفياته في الذّهن، لذا سعى العرفانيون لمباحثة ماهية الفضاء في الذّهن البشري، باستجلاء هيكلته: هل يتّخذ هندسة بنائية كما يتّخذها في الجانب الفيزيائي؟ وكيف تتموقع اللّغة في الذّهن؟ فهما وأداء.

فالفضاء مفهوم ذهني عرفانيّ يعتمد على مجموعة من القرائن التّركيبية أو المقامية أو الثّقافية أو اجتماعية تبني الدّلالة وتضبط الإحالة ممّا يجعلنا ننتقل من فضاء لفضاء آخر رغم التباعد الذّهني، الزّماني، أو المكاني ....فقولنا مثلا: "**عبدو دفع كواغطه**"، مقصدية الكلام النّاتجة عن ظاهر المرسلة الكلامية يشوبها اللّبس والغموض، من منطلق تخمين المتلقّي في قصد المتحدّث، ظاهر اللّفظ يشير إلى تقديم ملفّ ما من قبل عبدو والذي يضمّ أوراقه الخاصّة ربّما من أجل الحصول على عمل، ممارسة رياضة، الحصول على سكن،.. وقد يتولّد لنا فضاء ذهنيّا آخر مغايرا تماما، والذي قد يشترك فيه المتحدّث والمتلقي بحكم العرف اللّهجي للمجتمع الذي يقطنان فيه، يتلخّص في كون عبدو قد فقد عقله وأمسى سالب القدرة العقلية، أو قد أصبح متوتّرا غير قادر على التّحكم في تصرّفاته نتيجة ضغوط معيّنة، وبذلك تعدّدت البنى التّحتية لبنية سطحية واحدة، فالبنى التّحتية الأساسية بحد ذاتها تولّدت عنها عدّة أفضية ذهنية.

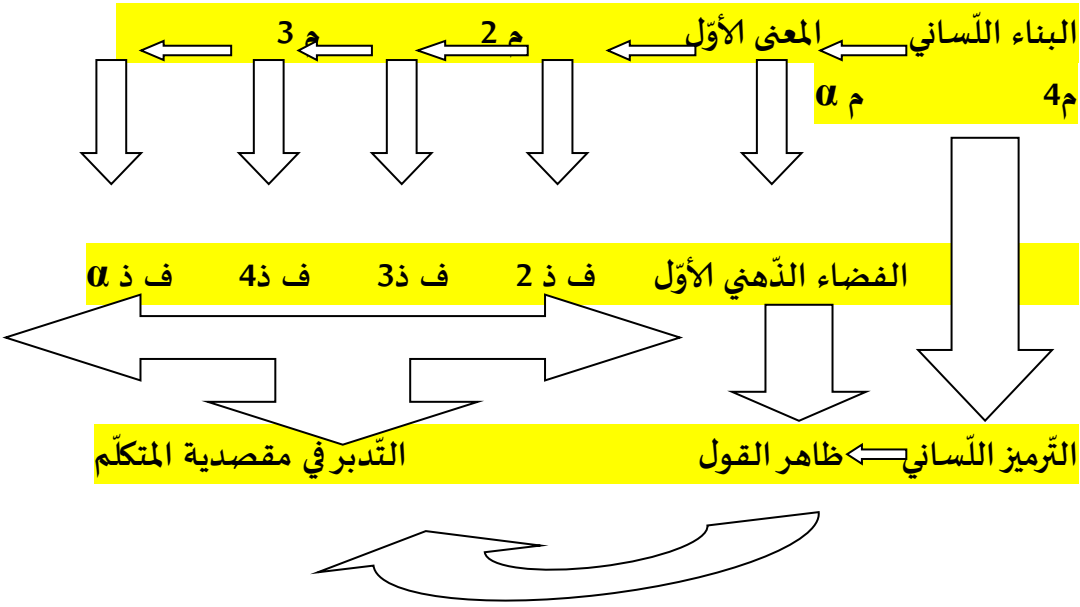

شكل 1_ تمثّلات الأفضية الذّهنية للبناء اللّساني

4.3 مفهوم الذّهني

الذّهنيّ الياء للنسبة، أمّا عن الذّهن فقد حدّه ابن منظور في معجمه على أنّه " الفهم والعقل، والذّهن أيضا حفظ القلب، وجمعه أذهان، اجعل ذهنك إلى كذا وكذا، ورجل ذَهِن وذِهْن كلاهما على النّسب، وكأنّ ذهنا مغير من ذَهِن، وفي النّوادر ذهنت كذا وكذا أي فهمته، وذهنت عن كذا فهمت عنه،..... الذَّهن مثل الذِّهن وهو الفطنة والحفظ، وفلان يذاهن النّاس أي يفاطنهم..."[13]، فالذّهن مكمن للحفظ والفهم.

5.3 مفهوم الفضاء الذهني

هو "**جملة المعلومات المنظّمة المتعلّقة بالمعتقدات والأشياء. يتكوّن من عناصر وليس من الضّروري أن تكون لتلك العناصر مراجع في المعنى السّوسيريّ**"[14]، يرى فوكونييه أنّ "الفضاءات تنظّم الإجراءات التّي تأخذ طريقها وراء السّتارة عندما نفكّر أو نتكلّم، إنّها تتكاثر في كشف الحوار وتتداخل فيما بينها بطرائق شائكة، وتهيّئ بنية ذهنية مجرّدة لتغيير إرساء وجهة النّظر والتّركيز بالسّماح لنا بتوجيه اهتمامنا في أي وقت إلى بنى بسيطة جزئية محافظة في الوقت نفسه على شبكة دقيقة من التّرابط في الذّاكرة بعيدة المدى"[15].

يعدّ النّشاط اللّغوي نشاطا رمزيّا ممثّلا لبناء الأفضية الذّهنية، كما تجدر الإشارة إلى أنّ النّشاطات الرّمزية لا تتوقّف على النّشاطات اللّغوية فحسب، وإنّما تتضمّن في طيّاتها اللّوحات الفنيّة، الصّور المتحرّكة، الأشرطة المصوّرة.....[16]، يحيل كلّ نشاط على مجموعة من الأفضية الذّهنية فور نشوئه، يلمّح فوكونييه: "**إلى أنّ الأفضية الذّهنية قد تتكاثر داخل الجملة الواحدة أو النّص الواحد، فيكون بذلك فضاء أوّل مولّدا لفضاء ثاني وثان مولد لفضاء ثالث وهكذا، وتكون هذه التولّدات للفضاءات الذّهنية بناء وانطلاقا من الفضاء الأساس الأوّل وصولا إلى الفضاءات المتفرّعة عنه فنتحصّل على شجرة الفضاءات الذّهنية،، حيث أطلق فوكونييه على الفضاء الأوّل الفضاء الأب وعلى الفضاء المولّد الفضاء الابن**"[17]، كما يسمّي الفضاء الأساس الفضاء المنظور Viewpoint. هذا ويتحدّث عن وجود فضاء ثاني سمّاه الفضاء البؤرة Focuse space.

6.3 بناء الفضاء الذّهني

إنّ عملية بناء الفضاء الذّهني حسب فوكونييه تتمّ وفق عمليات ذهنيّة محدّدة من قبل الوظيفة التّداولية، من خلال تعيين عنصرين أساسيين: العنصر الأوّل القادح trigger، والعنصر الثّاني هو هدف الإحالة target، يكون بينهما رابط connectorالذّي يترجم العلاقة بين الفضاء الأوّل والفضاء الثّاني[18]، أمّا عن الانتقال من فضاء لآخر فيكون بمساعدة العناصر البانية Builders كالتّوهم: باستعمال كأنّ، يبدو،...، الافتراض: إذا كان ،...، التّمني: ليت، أتمنّى،...ويضرب لنا لطفي الذّويبي مثالا عن ذلك في قوله:

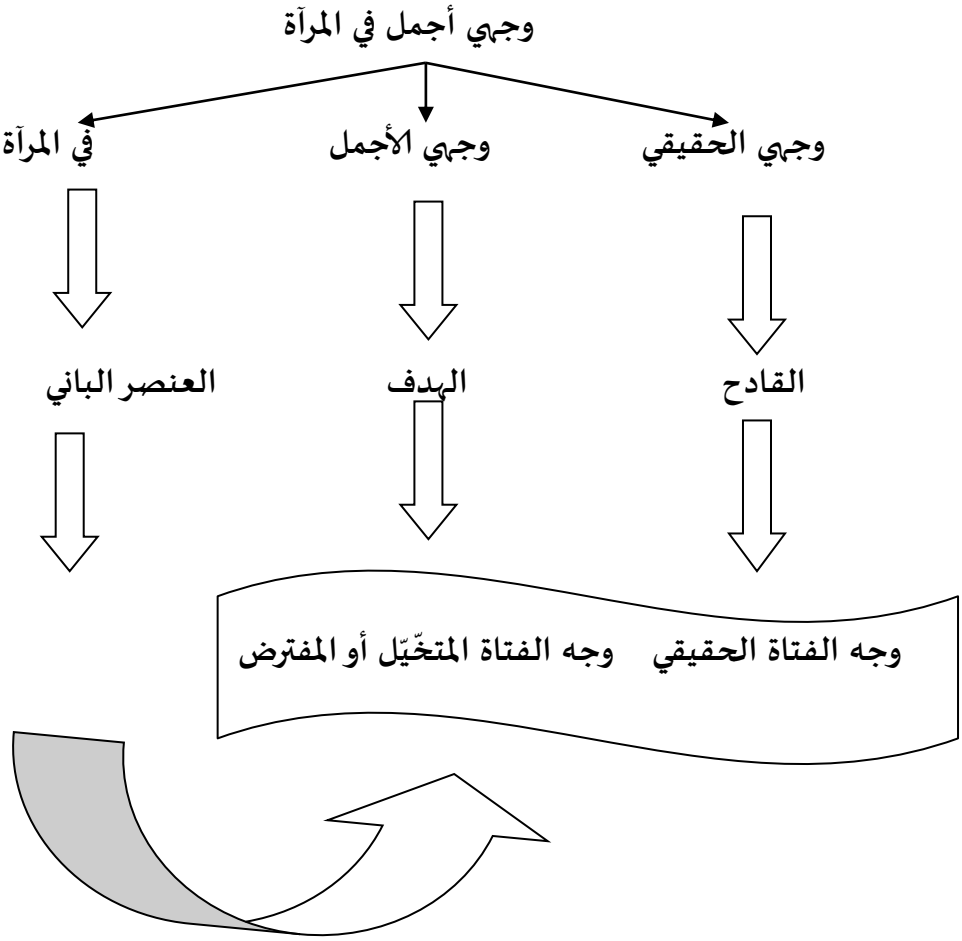

4. **نظرية الفضاء الذّهني (فوكونييه)**

تعدّ نظرية الفضاء الذّهني من أحدث النّظريات ظهورا في مضمار اللّغويات الإدراكية، أسّس لها جيلس فوكونييه من جامعة كاليفورنيا 1994م، وتبنّاها عدد من اللّسانياتيين المعروفين أمثال تيرز، ستكويل وماكسويل[19].

ظهرت دراسات لسانياتية متعدّدة تعمل على دراسة اللّغة ضمن أسيقتها بغية مقاربة المعاني المقصودة تفسيرا وتأويلا، ولعلّ ما أسّس له فوكونييه أحد أوجه هذه الدّراسات السّاعية إلى إبراز دور الأفضية الذّهنية في تأويل الدّلالات المقصودة من الخطابات، ساعيا إلى تفسير العلاقة بين الأبنية اللّغوية والآليات الذّهنية التّأويلية، إذ تمتزج الأفضية الذّهنية بين الملقي والمتلقّي ممّا يؤدّي إلى انفتاح النّص، فالخطابات تحمل في طياتها دلالات مقصودة. يحاول المتحدّث بعث مرسلة كلامية مؤلّفة من تراصص وحدات لسانية تتلاحم فيها الألفاظ والعبارات، ليعمل المتلقّي بعد ذلك على فكّ هذه الشّفرات اللّغوية من خلال التآلف النّاجم عن اتّحاد الألفاظ اللّغوية، مستخدما قواعد التّأويل التّي تضمّ بنيات تأويلية مجرّدة إلى العبارات اللّغوية[20].

5. **إشكاليات نظرية الأفضية الذّهنية**

إنّ نظرية الأفضية الذّهنية على رأي لطفي الذّويبي "**نظرية نفسية عرفانية للّساني الفرنسي جيل فوكونييه، وهي نظرة تنتمي إلى الأنساق اللّسانية المفتوحة على المخاطب والمقام، ويفسّر فوكونييه وفق هذه النّظرية العلاقة بين الظّواهر اللّغوية والعمليات الذّهنية التّي تتيح تفسير كيفية اشتغال تلك الظّواهر داخل الأبنية اللّغوية التّي تحتويها من قبيل ظواهر الإحالة والدّلالة والمطابقة النّحوية وبعض حالات الإضمار**"[21]، وإنّما يحدث ذلك ضمن سياقات مقامية.

تحمل بعض الأبنية اللّغوية لبسا وغموضا في إحالتها على دلالات أو معاني معينة، فيمسي تحليل التّراكيب اللّغوية غير كاف لاستشفاف المعنى، يشرح فوكونييه ذلك في قوله:"**أنّ الكثير من الأبنية تنطوي على إشكالات في الفهم والتّأويل وتكون فيها الدّلالة محدثة للبس ويكون التّحليل الشّكلي والتّركيبي غير قادر على تفسيرها، واعتبر**

أنه بالإمكان إعادة قراءة تلك الأبنية وتفسيرها بواسطة "فضاءات ذهنية" تنتظم وتترابط في ضوء قرائن تركيبية ومقامية وثقافية واجتماعية تمكّن المخاطب من الاهتداء إلى الدّلالة المقصودة وإلى المحال عليه داخل تلك الأبنية"[22]، إنّ الاهتداء للمعاني من خلال الأفضية الذهنية يشترط انتماء أو على الأقلّ معرفة المتلقّي بالمقوّمات الثّقافية والاجتماعية للملقى حتّى يتسنّى له فهم مقصدية المتحدّث.

تتشابك الأفضية الذّهنية باختلافها في البناء اللّغوي الواحد، إذ استعمال اللّغة وفك شفراتها وتأويل دلالتها يشهد تعدّدا ناجما عن تباين الأسيقة اللّغوية، يرى كلّ من جاك موشلر وآن ريبون أنّ أهم " **بناء ذهنيّا لفضاءات وعناصر ولأدوار وعلاقات بين فضاءات، وقوام التّواصل حسب وجهة النّظر نفسها، يتمثّل في بناء فضاءات متشابهة أو متماثلة، وغرض النّظرية دراسة كيفية أو كيفيات بناء الفضاءات والعلاقات بين الفضاءات، وفيها لا يعتدّ بالعلاقة بين الكلمات والعالم، وإنّما منتهى ما يعنى به هو العلاقة بين الكلمات والبناءات الذّهنية Construction mentalesالتي ينشئها المتكلّم والمخاطَب"**[23]، إذ تتداخل عدّة عمليات ذهنيّة معقّدة جنبا إلى جنب مع العمليّة النّفسية لصناعة المعنى أثناء المرسلات الكلامية التواصلية بين الأفراد.

6. مبادئ نظرية الأفضية الذّهنية

1.6 مبدأ الإحالة

لا يمكن الاعتماد فقط على البنية الشّكلية للجملة للاهتداء إلى دلالتها، فقد تفطّن فوكونييه في السّياق "**لظاهرة متواترة في الخطاب تحيل العبارة على معناها أو مرجعها إحالة غير معهودة إذ لا يمكن تفسيرها بمداخل معهودة: من ذلك ما يمكن سماعه في بعض المطاعم من تسمية الزّبون بما طلب من مأكل أو مشرب من قبيل: صحن السّمك يريد بعض اللّيمون، حيث يطلق "صحن السّمك" على شخص يتناول السّمك"**[24]، يقوم تأويل المعنى على المكان الذي حدثت فيه عملية التّلفظ، وكذا طبيعة الخدمات المقدّمة.

ومن ذلك ما يقال في واقعنا مثلا للتغزّل بفتاة "**هبلوني العينين الكحّل**"، أي سلبت عقلي ذات العينين السّوداوين شرط أن يتوفر في السّياق مايشير إلى صاحبة الشّأن كحضورها الجسدي أو توفّر إحدى لوازمها من قبيل اسمها أو شيء يخصّها.

2.6 مبدأ الروابط العرفانية

1.2.6 الرّبط بالاهتداء

يشير فوكونييه إلى تنوّع بيني للعوالم، فنثقف عوالم ممكنة وأخرى مستحيلة انطلاقا من فكرة أنّ استعمال اللّغة يكون منشودا للتّعبير على أشياء موجودة بالفعل، أو المفترض أن تكون موجودة لكنّها ليست كذلك، أو ستوجد في المستقبل بالفعل، أو سلبيّة الوجود في حال التّمني والرّجاء[25]. ويصرّح الأزهر زنّاد مستفيضا في ذلك أنّ اللّغة تمثّل إحدى تجلّيات الانتظام المفهومي الكامن في بناء المعنى، ما جعل بنيتها تعكس بنية الفضاء الذّهني، فبناء المعنى في الخطاب قائم لا محالة على تراتبية المفاهيم بمعنى أدق في الأفضية، بدء بالفضاء الأساس كوضعية انطلاق، إلى فضاء بؤري.مثل تمثّل التّشابكات الحادثة بين مجموعة الأفضية الذّهنية التّشكلات الدّاخلية في الفضاء الواحد[26]، وكون البنية اللّغوية ترتبط في تشكيلتها بالسّياق المقامي، أمست وظيفتها بذلك تحديد قابلية الاهتداء للمعاني والدّلالات المقصودة عرفانيا، إذ المعلومات المستقاة مشتركة بين الأفراد رغم تباين سبل الاهتداء لها. يهتدي فوكونييه إلى مبدأ عامّ مفاده أن كلّ "**مفهوم يقتضي في تمثيله فضاءين ذهنيين، يكون الواحد منهما أوّليا والآخر تابعا له**"[27] ، إنّ اهتداء طرفي المرسلة الكلامية إلى توليد الأفضية الذّهنية ينجم عن عمليات التّأويل تبعا للعناصر البانية وما ينجم عنها من طرح جملة من الاحتمالات الدّلالية.

2.2.6 الرّبط بالتّطابق

ويتمّ من خلال إنشاء روابط بين"**وحدتين في سياقات متباعدة في الزّمان أو في المكان وتعتبر الوحدتين متطابقتين أو تمثّلان الشّيء نفسه**"[28] ويضرب الزناد

مثالا على ذلك بالتّعرّف على شخص في سياقين مختلفين زمانيا ومكانيا من خلال بعض الملامح المشتركة بين صورتيه رغم التّقدّم في السّن.

3.6 العالم الواقع والعالم الافتراضي

ينبني العالم الافتراضي أو المتصوّر على أساس أنّ الذّات تتبنّى مقدرة عرفانية قائمة على تمثّل الذّات للكون، والذّي يكون حقيقيا بانيا لعالم واقعي، أو متصوّرا من خلال مشاريع التّمني، التّرجي أوالشّرط، من قبيل "**لو كانت لي قدرة مادية لاشتريت منزلا واسعا في منطقة حضارية**"، فالتّمني في هذه الحالة ينقل الفرد من عالمه الواقعيّ إلى عالم متخيّل ليعالج به ما هو مفقود في عالمه الأول.

وقد يسري ذلك أيضا إذا ثمّة ذاتان، تعمل إحداهما على تبنّي واقع الذّات الأخرى، ممّا يخلق عالمين أحدهما الأصلي الواقعي وثانيهما الافتراضي المبنيّ على الأوّل، من قبيل قول أحدهم "**لو كنت مكانك لكان ردّ فعلي كذا**"، فعالم المتحدّث افتراضي متصوّر أنشأ تمثّله من زاوية تختلف من حيث الرؤية عن زاوية المتحدّث إليه في عالمه الواقعي.

إنّ العالم الحقيقي هو "**العالم الموجود الخارجي، والعالم المسقط هو التّنظيم الّذي يقيمه الفرد للعالم الخارجي أو يسقطه عليه، وهو مشتقّ من العالم الأوّل عبر الإدراك والتّنظيم الّذي هو مسارات آلية غير واعية لا يمكنها أن تخرج إلى مستوى المراقبة القصدية أو الوعي للعالم الخارجي إلاّ في حدود معيّنة، وهذا العالم المسقط هو ما تنقله اللّغة**"[29]، فللسياقات الكلامية دور في استجلاء العوالم الافتراضية، قد يتطلّب ذلك وعيا وفطنة وتنظيما ذهنيّا، فالتّشويش الذّهني على سبيل المثال قد يعوق مسار اشتغال الآليات الذّهنية.

لا مجال لمعالجة المعنى خارج المنظور التصوّري وما يسنده من أفضية ذهنية، فالمتكلّم يحدّد المعنى المراد إيصاله مسبقا، ثمّ ينتج بنية لسانية تتبنّاه ضمن تناسق مفرداتها، ويسنح المجال للمتلقي للتسلّل بين فجوات الخطاب مؤوّلا للدّلالات، باحثا عن المقاصد متنقّلا بين المعاني مؤلفا جملة من الأفضية الذّهنية، فيرتحل من عالم الواقع إلى العالم المتخيّل، ومن المفترض أن يكون المخاطِب على دراية بإمكانية حدوث ذلك.

إنّ الفضاء النّاجم عن تخاطر الملقي والمتلقّي بفعل تماثل انتمائهما القومي، الثّقافي، الاجتماعي.... موسوم بفضاء الخطاب الرّاهن على حدّ تسمية **لنقكار**، وهو "**فضاء ذهني للعناصر والعلاقات التي يتقاسمها المتكلّم والمخاطب على أنّها أساس لتواصلهما في لحظة معيّنة أثناء جريان الخطاب**"[30]، إذ من المستحيل بمكان، أن يحصل التّمثيل الذّهني للأفضية الذّهنية بين متراسلين لا يتشاركان قيما متماثلة، فالأبنية اللّسانية موارد مرنة، يهتدي إليها المتكلّمون عن طريق قرائن ذهنية تركيبية، تداولية وعرفانيّة.

7. خاتمة

تعدّ الأفضية الذّهنية إحدى نظريات الدّراسات العرفانية، السّاعية إلى فكّ اللّبس والغموض والإبهام عن السّيرورات الدّلالية في الأبنية اللغوية، من خلال تسخير مجموعة من المناويل العرفانية والثّقافية، ومبادئ التّداولية، لمقاربة الأجساد السّردية.

إنّ التّرابط بين الأفضية من خلال التّمثيلات الذّهنيّة الممثّلة في المنتج السّردي المعالج يتأرجح في شكل دائري، إذ تتشعّب الأفضية الذّهنية حسب تواتر الأحداث بين عوالم ممكنة وأخرى واقعية، بين تصنيفات موجبة وأخرى سلبية، أساسية وأخرى جزئية، أفضية آباء وأخرى أبناء وأحفاد، في تركيبة تماثل حركية الحياة الدّائرية، منتهاها حيث انطلق وكذلك هي دورة الحياة.

قائمة الإحالات

إبراهيم صالح: الفضاء ولغة السّرد في روايات عبد الرّحمن منيف، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2003م، ط1

جاك موشلر_آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة ، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط4

جحفة عبد الجبّار:مدخل إلى الدّلالة الحديثة، دار توبقال، الدّار البيضاء، 2000

راي جاكندوف: علم الدّلالة والعرفانية، تر عبد الرزاق بنّور، ، المركز الوطني للتّرجمة، تونس ، 2010

الزّبيدي محمد الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس، م 20، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ط1

الزناد الأزهر: نظريات لسانية عرفنية، دار محمّد علي للنشر، تونس، 2010، ط1

شومسكي:دراسات حول الصّورة والمعنى نقلا عن محمد الأوراغي: نظرية اللّسانيات النّسبية دواعي النّشأة، ،دار الأمان، المغرب 2010،ط1

قريرة توفيق : الاسم والاسمية والأسماء في اللّغة العربية، مقاربة نحوية عرفانية، مكتبة قرطاج للنّشر والتّوزيع، 2011،

لايكوف جورج _جونسون مارك: الاستعارات التّي نحيا بها، تر عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009م
يقطين سعيد: قال الرّاوي، البنيات الحكائية في السّيرة الشّعبية، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2007م، ط1
ابن منظور:
لسان العرب، نشر أدب الحوزة، إيران، 1405 ،مادة عرف، ج 6
لسان العرب، دارصادر، لبنان، م43 ،مادة ذهن
Gilles Siouffi/ DAN Van Raemdonck: 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal, France, 2012, E4
مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ع 240
مجلة العلامة، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب بكلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة /الجزائر 2014 ، ع3
مجلّة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، م 3، عدد خاص،كلية الآداب واللّغات، جا محمّد بوضياف، الجزائر، 2019
مجلة كلية التّربية الأساسية، ع 73، جا بابل، 2012
رزقي بن عومر: المنهج العرفاني ..... العقل ومكانته في المنهج العرفاني، مجلة الكلمة، 04_10_2012م1016/http://kalema.net/home/article/print.
Journal of Metaphor and Symbolic Activity , 1995;Volume 40

9. الملاحق

[1]_ ابن منظور: لسان العرب، نشرأدب الحوزة، إيران، 1405 ،مادة عرف، ج 6، ص 236.

[2]_ رزقي بن عومر: المنهج العرفاني ..... العقل ومكانته في المنهج العرفاني، مجلة الكلمة، 04_10_2012م، http://kalema.net/home/article/print/1016.

[3]_ Gilles Siouffi/ DAN Van Raemdonck: 100 fiches pour comprendre la linguistique, Bréal, France, 2012, E4, p55.

4- شومسكي:دراسات حول الصّورة والمعنى نقلا عن محمد الأوراغي: نظرية اللّسانيات النّسبية دواعي النّشأة، دار الأمان، المغرب 2010،ط1، ص145.

[5] _Gilles Siouffi/ DAN Van Raemdonck: 100 fiches pour comprendre la linguistique, p28.

6- ينظر راي جاكندوف: علم الدّلالة والعرفانية، تر عبد الرزاق بنّور، ، المركز الوطني للتّرجمة، تونس ، 2010 ص 07.

7- لذلك يجعل جاكندوف مصطلح التّمثيل الرّمزي مرادفا للتّمثيل الذّهني، ينظر راي جاكندوف: علم الدّلالة والعرفانية، ص 15.

8- م ن، ص ن.

[9]_ محمد الحسيني الزّبيدي: تاج العروس من حواهر القاموس، م 20، دار الكتب العلمية، لبنان، 2007، ط1، ص117.

[10]_ سعيد يقطين: قال الرّاوي، البنيات الحكائية في السّيرة الشّعبية، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2007م، ط1، ص237.

[11]_ عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السّرد، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، ع 240 ص 142.

[12]_ صالح إبراهيم: الفضاء ولغة السّرد في روايات عبد الرّحمن منيف، المركز الثّقافي العربي، المغرب، 2003م، ط1، ص9.

[13]_ ابن منظور: لسان العرب، دارصادر، لبنان، م43 ،مادة ذهن، ص:491.

[14]_ الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، دار محمّد علي للنشر، تونس، 2010، ط1 ص206.

[15]_ حسام عبد العلي الجمل_ ظافر كاظم عبد الرّزاق: دلالة الجملة في ضوء نظرية السّياق ونظرية الفضاء الذّهني، مجلة كلية التّربية الأساسية، ع 73، جا بابل، 2012، ص128.

[16]_ ينظر الأزهر الزناد، ص 206.

[17]_ نزيهة زكور: الأفضية الذّهنية والسّيميوزيس أو التّأويل المتناهي، مجلّة العمدة في اللّسانيات وتحليل الخطاب، م 3، عدد خاص،كلية الآداب واللّغات، جا محمّد بوضياف، الجزائر، 2019، ص169.

✓ [18]_ لطفي الذّويبي: قدرة نظرية الفضاءات الذّهنية على تأويل الأبنية اللّغوية، مجلة العلامة، ، مخبر اللسانيات النصية وتحليل الخطاب بكلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ، ورقلة /الجزائر 2016 ، ع3، ص17.

[19] _ Turner mark and Gilles Fauconnier: Conceptual Integration and formal Expression, Journal of Metaphor and Symbolic Activity , 1995;Volume 40 , p 183

[20]_ ينظر جورج لايكوف _ مارك جونسون: الاستعارات التّي نحيا بها، تر عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، 2009م، ص07.

[21]_ لطفي الذّويبي : قدرة الفضاءات الذّهنية على تأويل الأبنية اللّغوية، مجلة العلامة، ص14.

[22]_ لطفي الذويبي: قدرة الفضاءات الذّهنية على تأويل الأبنية اللّغوية ص14.

[23]_ جاك موشلر_آن ريبول: القاموس الموسوعي للتداولية، تر مجموعة من الأساتذة ، المركز الوطني للترجمة، تونس، ط4 ، ص 162.

[24]_ الأزهر الزناد: نظريات لسانية عرفنية، ص 198.

[25]_ ينظر الأزهر الزناد، ص 198_199

[26]_ ينظر م ن، ص 199.

[27]_ م ن، ص 201.

[28]_ م ن، ص201.

[29]_ عبد الجبّار جحفة:مدخل إلى الدّلالة الحديثة، دار توبقال، الدّار البيضاء، 2000، ص98.

[30]_ توفيق قريرة: الاسم والاسمية والأسماء في اللّغة العربية، مقاربة نحوية عرفانية، مكتبة قرطاج للنّشر والتّوزيع، 2011، ط1، ص 130.